

دكتورة/ إيمان محمد علي إسماعيل .
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة
هذا البحث يدرس صوت من أهم أصوات اللغة العربية ، هو صوت النون ، ويلقي الضوء على
الأدوار التي لعبها هذا الصوت في اللغة ، على جميع مستوياتها ، الصوتية والصرفية والنحوية
والدلالية .

صوت النون في اللغة العربية

دراسة لغوية لصوت النون في اللغة العربية

إيمان

1/24/2013

صوت النون في اللغة العربية : دراسة لغوية

مقدمة البحث :

لصوت النون شأن عظيم في اللغة العربية ؛ فهذا الصوت من أكثر الأصوات دورانا في اللغة . ولهذا الصوت الكثير من الأدوار التي يلعبها في اللغة ، والتي اختلفت بين النحوية ، والصرفية والصوتية ، والدلالية .

وصوت النون بملاحظة سماته وملامحه ، نجده يتميز بالقوة السمعية والفيزيائية ؛ اللتين تكسبانه جرسا خاصا به ، ومرتبة خاصة بين أصوات اللغة العربية .

وقد حظي صوت النون بطرق أدائية نطقية مختلفة ، تتميز بحسب ما يأتي بعده من أصوات ؛ وهذا ما أظهرته بجلاء القراءات القرآنية .

تمهيد البحث : ما السمات الفارقة لصوت النون ؟

صوت النون / n / (١) من الصوامت التي لها موقعان ينطق فيهما ، الموقع الأول هو التجويف الفموي Oral Cavity ؛ فصوت النون لثوي أسناني Alveolar يُنطق باتصال اللسان أو طرف اللسان بلثة الأسنان العليا Upper Teeth ، وهذا الاتصال لا يكون تاما ، بحيث يسمح لهواء الزفير بالمرور في الموقع النطقي الثاني في التجويف الأنفي Nasal Cavity ، فعندما تهبط اللهاة Uvula تلك الزائدة اللحمية في مؤخر الفم ، والفاصلة بين التجويفين الأنفي والفموي ، يمر هواء الزفير بين طرف اللسان ، ولثة الأسنان العليا إلى التجويف الأنفي ؛ وهذا ما يعطي صوت النون أهم ملمح يتميز به هذا الصوت ، ملمح التغنين أو الغنة Nasalization ، وقد أدى هذا الازدواج الموقعي في نطق الصوت إلى الازدواج في طريقة نطقه ؛ فهذا الصوت من الأصوات المتوسطة ، أي التي تجمع بين صفتي الوقف Stop في النطق الفموي ، والاحتكاك البسيط fricative في النطق الأنفي ، وهو صوت مجهور Voicing يهتز في أثناء نطقه الوتران الصوتيان (٢) Vocal Chords ، وهذا ما يكسبه قوة الإسماع ؛ فهذا الصوت من الأصوات التي تحتل المرتبة الثانية في الجهر بعد الصوائت .

(١) المدخل في علم اللغة رمضان عبد التواب ص ٨٤ وانظر مناهج البحث في اللغة تمام حسان ص ٩٩ والمدخل في علم الأصوات المقارن صلاح حسنين ص ٤١ : ٤٨ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٦٠/١

(٢) الصوتيات الفونولوجيا محمد الضالع ص ٣٤ - ٤٤ مناهج البحث في اللغة ص ١١٣ : ١٢٠ المدخل في علم الأصوات المقارن ص ١٥ : ٢٠

وهو من الأصوات المرققة التي تنطق في الجزء الأمامي من الفم ، وقد وصف ابن الجزري هذا الصوت بأنه من حروف الذلاقة ، أي الحروف التي تنطق من ذلق اللسان أو طرفه ، والتي جمعت في مقولة : (فر من لب) (١١) ، فزعم ابن الجزري أن هذه الحروف لا تخلو منها أي كلمة عربية ؛ فيجب أن ترد في الكلمة لكي توازن بخفتها الحروف الأخرى المصمتة ، بل لقد جعل وجود هذه الحروف في الكلمة دليلا على عربيتها ؛ فوصفت الكلمات التي لا تحتوي على حرف من هذه الحروف بأنها غير عربية ، نحو كلمة (عسجد) بمعنى : الذهب .

وقد كان لسماوات هذا الصوت دور في تأثيره بكثير من أصوات اللغة ، مع اختلاف نوع ودرجات هذا التأثير .

ما سيتم بحثه في هذا البحث :

بعد هذا العرض الموجز لتوصيف صوت النون ، يظهر لنا مواضع القوة في هذا الصوت ؛ فهو صوت قوي من ناحية غنته ، ومن ناحية موقعه النطقي ، ومن ناحية جهره ؛ وهذا ما جعل لهذا الصوت شأن كبير في اللغة العربية ، وجعل له أدوار مختلفة فيها ، ستقوم هذه الدراسة ببحثها والوقوف على أسبابها .

تقسيم الدراسة في البحث :

ستقسم الدراسة إلى أربعة فصول ، بحسب نوع الأدوار التي يقوم بها صوت النون على هذا النحو :

- ١- الفصل الأول : الأدوار الصوتية لصوت النون .
 - ٢- الفصل الثاني : الأدوار الصرفية لصوت النون .
 - ٣- الفصل الثالث : الأدوار النحوية لصوت النون .
 - ٤- الفصل الرابع : الأدوار الدلالية لصوت النون .
- وأخيرا تأتي خاتمة البحث ؛ لعرض نتائج الدراسة .

الفصل الأول : الأدوار الصوتية لصوت النون .

كان لوضع صوت النون النطقي أثره في تأثره بما يجاوره من أصوات ؛ فهو يتأثر بالأصوات اللثوية الأسنانية والأسنانية و الحنكية والأنفية ، التي تقترب معه أو تشاركه في المخرج والصفات ، مع اختلاف وتفاوت درجات هذا التأثير ؛ وهذا ما يجعل له صورا أدائية مختلفة ، طبعت هذا الصوت بطابع خاص ، ظهر جلياً في قراءات الذكر الحكيم للمواضع التي يرد فيها هذا الصوت متبوعاً بأصوات معينة .

- يتأثر صوت النون في كلام العرب وبالتالي في قراءات الذكر الحكيم بما يجاوره من أصوات إذا كان ساكناً "أي غير محرّك بأي حركة" ؛ فالحركة تقف حاجزاً يحول دون حدوث التأثير بين النون وما يتبعه من أصوات أخرى ؛ فما نتحدث عنه الآن هو النون الساكنة " حرف النون " أو التتوين " النون الساكنة التي تلحق آخر الأسماء لفظاً " .

- تختلف درجات تأثر صوت النون بالأصوات التالية له باختلاف نوع هذه الأصوات ؛ فهناك التأثير التام الذي يختفي فيه صوت النون تماماً في النطق ، فيتحول إلى مثل الصوت التالي له ، وهناك التأثير شبه التام الذي يختفي فيه الصوت ، لكن تبقى صفة منه تدل عليه ، وتُسبغ التأثير أو التماثل في هذه الحالة طابعاً أدائياً مميزاً ، وهناك التأثير التام أيضاً ، ولكن لا يتحول فيه صوت النون إلى مماثل الصوت الآخر ، بل يتحول إلى صوت جديد ، يجمع بين صفات النون ، وصفات الصوت التالي له ، وهناك التأثير الجزئي بمعنى أن تغطي صفات الصوت التالي للنون على نطقه ، فيختفي فيها ، وهناك انعدام التأثير بين صوت النون وما يليه من أصوات ، وذلك لأسباب معينة ، ستذكر في حينها .

أولاً : صوت النون والأصوات المتوسطة :

يحدث التأثير أو بمعنى أصح التماثل التام بين صوت النون /n/ وكل من صوتي اللام // ، والراء /r/ ، اللذين يتصفان بمعظم صفات النون ؛ فهما صوتان متوسطان ، أي ينطقان باتصال طرف اللسان بلثة الأسنان العليا ، مع السماح بمرور الهواء من أحد جانبي اللسان أو كليهما مع اللام ، ومع رفرقة اللسان وضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة مع الراء ؛ فقد وُصف صوت اللام بأنه صوت لثوي أسناني جانبي Lateral و وُصف صوت الراء بأنه صوت لثوي أسناني تكراري Rolled – Trill (٢) .

(١) دراسات في علم الأصوات صبري المتولى ص ٦٧ : ٧٥

(٢) مناهج البحث في اللغة ص ١٠٠ و المدخل إلى علم اللغة ص ٨٤

وهما صوتان مجهوران ؛ فالعلاقة بين الأصوات الثلاثة هي التجانس ؛ لذلك يتأثر صوت النون بكل من صوت اللام التالي له ؛ فيتحول إلى لم أخرى ، ثم يدغم في اللام المؤثرة ، ويطلق على هذه الظاهرة : (الإدغام بغير غنة) (١) ، وذلك في نحو قوله تعالى :

" ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ نَحْنُ مُبْتَلُونَ﴾ البقرة [٢٢]

" ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ نَحْنُ مُبْتَلُونَ﴾ الكهف [٢]

ويتأثر كذلك بصوت الراء التالي له ؛ فيتحول إلى راء أخرى ، ثم يدغم في الراء المؤثرة إدغاما بغير غنة ، وذلك في نحو قوله تعالى :

" ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ نَحْنُ مُبْتَلُونَ﴾ البقرة [٢٦]

" ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ نَحْنُ مُبْتَلُونَ﴾ البقرة [٢١٨]

والمقصود في وصف الإدغام بغير غنة أن صوت النون يتأثر كلية باللام أو الراء التاليين له ، فيذهب بكامل مخرجه وصفاته ، ويتحول إلى مثل الصوت الذي يليه .

ثانيا : صوت النون والأصوات الأنفية :

الصوت الوحيد في اللغة الذي يشترك مع النون في المخرج الأنفي هو صوت الميم / m .

فالميم صوت ينطق بضم الشفتين ضمًّا غير تام ، بحيث يسمح لهواء الزفير بالمرور في الممر الأنفي ، بعد هبوط اللهاة في مؤخر الفم ، فهو أيضا من الأصوات المتوسطة والمذلفة والمجهورة والغنّاء .

(١) التيسير للداني ٣٤ والنشر لابن الجزري ١٩ / ٢

وعندما يأتي هذا الصوتتاليا للنون يؤثر فيه ؛ فيتحول إلى الميم ، ويدغم فيه ، ولأن صفة الغنة صفة مشتركة بين الصوتين تبقى في النطق ، ويطلق على هذه الظاهرة(١): (الإدغام بغير غنة) وذلك في قوله تعالى :

" ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ نَحْنُ مُبْتَلُونَ﴾ البروج [٢١]

ثالثا : صوت النون والأصوات شبه الصامتة أو شبه الصانته :

يطلق هذا الوصف على صوتين في اللغة ، هما صوتا الواو /w/ و الياء /y/ ؛ فصوت الواو ينطق بتقريب الشفتين من بعضهما (٢) ، وبروزهما إلى الأمام ، فيمر هواء الزفير بينهما باحتكاك بسيط جدا ، ليس كاحتكاك الاصوات الاحتكاكية ، فمرور هواء الزفير في نطقه يكون بحرية أكبر ، ويشترك مؤخر اللسان أيضا في نطق الواو بارتفاعه قليلا ناحية الطبقة Soft Palat. وينطق صوت الياء بارتفاع مقدم اللسان ناحية الحنك الصلب أو الغار Hard Palat ، دون التصاق ، فيمر هواء الزفير بينهما محدثا احتكاكا بسيطا ، وقد وصف سيوييه صوتي الواو والياء بأتهما من أصوات اللين (٣) ؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أكثر من اتساع غيرها ، ويمكن مد الصوت فيها ، فهو هنا يصف الواو والياء الساكنتين ، فهما يقتربان في نطقهما من نطق واو المد " حركة الضم الطويلة " ، وياء المد " حركة الكسر الطويلة " و نطق الضمة والكسرة؛ ولذلك يطلق عليهما في علم الأصوات الحديث مصطلح أشباه الصوامت أو الصوانت ، فهما يجمعان بين نطق الحركات ؛ وذلك بمرور هواء الزفير في أثناء في مجرى شبه حر باحتكاك بسيط جدا ، وبين نطق الصوامت ؛ فهما يتطلبان وضعا خاصا للسان والشفتين في نطق الواو ، ولللسان فقط في نطق الياء ، ولا يستخدمان نواة للمقطع كما تستخدم الحركات ، فلا فرق بين صوتي الواو والياء ، وصوتي الضمة والكسرة من الناحية الصوتية المحضة ، ولكن الفارق بينهما يكمن في طريقة التشكيل والتطريز اللغوي ؛ فالواو والياء يأتيان بعد علة وقبلها ، ولا تأتي الضمة ولا الكسرة كذلك ، فصوتا الواو والياء قد يكونا صامتين كما في كلمتي : (وَلَد - يَلِد) ، ويسميان نصف علة ، أو في كلمتي : (وَوَف - بَيَّت) ، ويسميان حرف لين ، ويقابل هذا المصطلح في علم الأصوات الحركة المركبة أو الصانته المزجي Diphthong

(١)التيسير ص٤٣

(٢)علم الأصوات دكتور كمال بشر ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٣)الكتاب سيوييه ٤ / ٤٣٥

ورمزه /aw/ ، /ay/ ، وقد يكونا صانتهين طويلين إذا سبقا بحركة من جنسهما ، هما الضمة كما في كلمة (نور) ، والكسرة كما في كلمة (يحيد) ، فالواو والياء في هذين المثالين صوانت طويلة (واو مد - ياء مد) (١). وكل من الواو والياء صوتان مجهوران ، وهما يحتلان أعلى مراتب الجهر (٢).

ويلاحظ في أصوات النون والواو والياء التقارب في المخرج الفموي ، فالنون تحتل موضع الوسط بالنسبة للصوتين ، والواو في الأمام ، والياء في الخلف قليلا ، وكل من الأصوات

يحدث لصوت النون عند هذه الأصوات نوع من التماثل أو بمعنى أصح التأثير بصفات هذه الأصوات ؛ فيختفي قليلا في النطق ، وتطغى عليه أهم الملامح الصوتية للصوت التالي له ، ويطلق على هذه الظاهرة اسم (الإخفاء الحقيقي) (٢١) ، وقد وضع الدكتور تمام حسان عدة رموز لصوت النون بحسب الصوت التالي له (٢٢) ، فوضع رموز للنون قبل الأصوات بين الأسنان ، ورموز للنون قبل الأصوات اللثويةالأسنانية واللثوية ، ورمز للنون قبل الشين ، وقبل القاف إلخ، بحيث يدل كل رمز على تأثير نطق النون ببعض ملامح الصوت التالي له . وهناك من يصف ما يحدث للنون عند هذه الأصوات بأنه اختفاء للنطق الفموي فيه ؛ فيتحول إلى مجرد غنة في الخيشوم ، بمعنى أن اللسان يظل راقدا بين جانبي الفك الأسفل ، فيمر هواء الزفير في الأنف ، بعد هبوط اللهاة في مؤخر الفم (٤).

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣ النشر ١ / ١٦٠ دراسات في علم الأصوات ص ٦٦- ٦٧ مناهج البحث في اللغة ص ٩٨ المدخل في علم الأصوات المقارن ص ٤٨

(٢) التلقي والأداء في القراءات القرآنية دكتور محمد حسن جبل ص ١٥٤

(٣) مناهج البحث في اللغة ص ١٥

(٤) التلقي والأداء ص ١٨١

سابعا : صوت النون وظاهرة التغيرات " المخالفة " :

كره الذوق العربي التقاء المتماثلين في الكلمة ، أي اجتماع صوتين متماثلين في الكلمة ؛ فكانت اللغة تلجأ إلى عدة طرق للتخلص من هذه الظاهرة هي :

- ١- الإدغام .
- ٢- القلب أو المخالفة .
- ٣- الحذف .
- ٤- الفصل بين المتماثلين .

وقد استخدم صوت النون كصوت مخالف للصوت المكرر في الكلمة ، فقبل في إجا ص أنجا ص ، وفي بغداد بغداد ، وفي سكر سكر (١).

ودائما تُخالف النون المشددة إلى الياء ، كقولهم في دندار دينار (٢).

-
- (١) مقال بعنوان بنية الكلمة والقوانين الصوتية .
(٢) المدخل في علم الأصوات المقارن ص ١٤٩ والتطور اللغوي ص ٤١ .

الفصل الثاني : الأدوار الصرفية لصوت النون :

لصوت النون الكثير من التكوينات الصرفية في اللغة العربية ، فهو يكوّن وحدات صرفية محددة ، تؤدي وظائف نحوية معينة ، وتعطي دلالات مختلفة .

أولاً : التنوين (الصرف) :

للتنوين جانبان ، جانب صرفي وجانب نحوي ، فهو وحدة صرفية أو مورفيم ، وظيفته على المستوى العام هي التمييز الأسماء والأفعال والحروف في اللغة ؛ فهو يلحق الأسماء فقط ، ولا يلحق الأفعال والحروف – عدا في الضرورات الشعرية – وعلى المستوى الخاص يميّز التنوين بين النكرة والمعرفة ، فهو يلحق الأسماء النكرة ، ويحذف منها عند دخول ال التعريف عليها ، وعند إضافتها ، فعندما نقول :

" رأيت ولدًا " ، تُحلل الجملة بهذا الشكل (١) :

/ رأى / : وحدة معجمية ، فعل ماضٍ بمعنى : شاهد .

/ ت / : تاء الفاعل وحدة صرفية ، تدل على الفاعل .

/ ولد / : وحدة معجمية ، اسم

/ : نون التنوين المنطوقة وحدة صرفية تدل على التنكير في الاسم .
ويستخدم التنوين للتعويض عن حرف أو جملة لم تذكر في السياق ؛ فهو يأتي في جمع المؤنث السالم عوضا عن نون التي ترد في صيغة جمع المذكر السالم ، ويأتي عوضا عن ياء ، في مثلما بِئْسَ ، هادٍ ، داعٍ) ، ويأتي عوضا عن جملة ، في (حينئذٍ ، يومئذٍ) .

ويلاحظ دائما في التمييز بين الأشياء العلامة المميزة ذات قوة ووضوح ، بحيث تكسبها السمة التي تحفظ لها شكلها أو سمتها الخاص ، وبالنسبة لصوت النون فإن له من القوة الفزيائية والسمعية ما يؤهله ليؤدي هذه الوظائف النحوية المختلفة ، فبارهاف السمع للكلمات المنونة ، يدرك الإنسان ما لصوت النون أو لغنة النون من وقع قوي في الأذان ، وربما يكون ذلك أيضا ما جعلهم يكتفون بالحاق الصوت نطقا فقط ، دون الكتابة ، هذا بجانب أمن التباس نون التنوين بنون الحرف ، كما فسر سيبويه .

وكما كان وجود النون الساكنة في الأسماء علامة ، كان حذفها منها علامة أيضا ، ولكن لشيء آخر ، فوجود النون مرتبط بوصل الكلام ، أما عند الوقف فإن هذه النون تُحذف إذا كانت الكلمة مضمومة أو مجرورة ، وتستبدل ألفا " تتحول النون إلى حركة فتح قصيرة ، تضاف إلى حركة الإعراب ، فتكونان حركة فتح طويلة

(١) دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن دكتور صلاح حسنين ص ٧٣ - ٧٤

(٢) الكتاب سيبويه ١٦٦/٤

" ألف مد " أو تحذف النون ، ويُعوَض عنها بإطالة الحركة السابقة لها " ، وقد فسّر سيبويه حذف حركتي الضم والكسر بأنه لثقلهما في النطق عند العرب ، فيسقطان أخذين معهما نون التنوين ، فيتخلص المتكلم من الأثقال الرازحة في مؤخر الكلمة ؛ كي يستطيع أن يقف عليها بسهولة ويسر ، مُستبدلا قوة النون ، والصانته القصير " الضمة أو الكسرة " ، بقوة الحرف الساكن ؛ فالحرف الساكن له أيضا قوة فيزيائية وسمعية أثبتتها الأبحاث والمعامل الصوتية ، وقد فسّر ما يحدث في حالة الوقف على الكلمات المنصوبة بأنه لخفة نطق الفتحة والألف عند العرب ؛ فأبقوا عليها ، ولم يكتفوا بذلك بل استبدلوا النون بها ، وأثبتوها في الخط بكتابة الكلمات المنونة المنصوبة بالألف في آخرها ، من باب مراعاة الخط للفظ ، واستعاضوا عن قوة النون بقوة حركة الفتح الطويلة في الوقف .

وكما كان إلحاق نون التنوين علامة ، كان حذفها من الأسماء علامة أيضا ، فهي تحذف إذا عُرِّف الاسم بال التعريف ، وإذا أضيف ؛ فالنون تقف حائلا يمنع الإضافة ؛ لذلك تُحذف كي

تصح ، وإذا جاء الاسم علما موصوفا بلفظة (ابن) مضافة إلى علم آخر ، وهذا الحذف تمّ لالتقاء الساكنين (نون التنوين الساكنة و باء كلمة ابن ، بعد حذف ألف الوصل) .

وقد أدى منع التنوين أو الصرف إلى نسخ العلامة الإعرابية في حالة الجر ، من الكسرة إلى الفتحة ، فالكلمات التي لاتقبل التنوين (العلم المؤنث ، نحو : سعاد ، والعلم الأعجمي ، نحو : إبراهيم ، والعلم المؤنث الثلاثي ساكن الوسط ، نحو : هِنْد ، العلم المزيد في آخره ألف ونون ، نحو : مروان ، العلم على وزن الفعل ، نحو : أحمد ، العلم المركب تركيبا مزجيا ، نحو : حضرموت ، العلم على وزن فَعَل ، نحو عَمْر ، الصفة على وزن فعْلان الذي مؤنثه فَعَلَى ، نحو عطشان ، الصفة على وزن أَفْعَل ، نحو : أحسن ، والصفة من الألفاظ نحو : آحاد ومَوْ حد ، والاسم المختوم بألف التانيث المقصورة ، نحو : سلمى ، والمختوم بألف التانيث الممدودة ، نحو : صحراء ، وصيغة منتهى الجموع ، نحو : صحائف ، قناديل) ، ترفع وتكون علامة رفعها الضمة ، وتنصب وتجر وتكون علامة نصبها وجرها الفتحة .

ثانيا : المثني :

ومن الوظائف الصرفية للنون أيضا ، تكوينها هي والألف ، وحدة صرفية للمثنى في حالة الرفع ، وتكوينها هي والياء وحدة صرفية للمثنى في حالتي النصب والجر فعندما نقول مثلا : حضر الأستاذان .

تُحلَّل الجملة على هذا النحو :

/ حضر / : وحدة معجمية "لفاعل" ، بمعنى : جاء " .

/ ال / : وحدة صرفية تؤدي وظيفة نحوية هي التعريف .

/ أستاذ / : وحدة معجمية ، اسم بمعنى : المجيد أو البارح فيما يقوم به .

/ ان / : وحدة صرفية تفيد التثنية في حالة الرفع .

وهذا أيضا مظهر من مظاهر استغلال اللغة لقوة صوت النون . الذي يُحذف من الكلمة في حالة الإضافة .

ثالثا : جمع المذكر السالم :

ويقوم صوت النون مع الواو بتكوين مورفيم جمع المذكر السالم في حالة الرفع ، ومع الياء يكونان مورفيم جمع المذكر السالم في حالتي الجر والنصب ، فجملة مثل :

حضر المهندسون إلى الموقع .

تُحلَّل على هذا الشكل :

/ حضر / وحدة معجمية ، فعل ماضٍ ، بمعنى : جاء .

/ ال / : وحدة صرفية ، أداة التعريف .

/ مهندس / : وحدة معجمية ، بمعنى : المصمّم لشيءٍ ومُنشئه .

/ لَوْنٌ / : وحدة صرفية تؤدي وظيفة نحوية هي الدلالة على جمع المذكر السالم .

/ إلى / : وحدة صرفية تؤدي وظيفة نحوية هي الجر في الأسماء .

/ الـ / : وحدة صرفية ، أداة التعريف .

/ موقع / : وحدة معجمية ، اسم بمعنى : مكان .

والفارق بين نون المثني، و نون جمع المذكر السالم، ن الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة ، وقد كان الأصل في نون المثني الفتح أيضا ، ولكن حدث فيها المخالفة الصوتية بين الحركات ؛ فقد اجتمعت في المثني المرفوع ألف المد " حركة الفتح الطويلة " ، وحركة الفتح القصيرة المحركة بها النون ، والقاعدة الصوتية تقضي بأنه إذا التقت الألف والفتحة تُخالف الفتحة إلى الكسرة (١) ، وهناك قبائل عربية حافظت في نطقها على حركة الفتح على نون المثني ، ومنه قول الشاعر (٢) :

على أَحورِ ذِيَّيْنِ اسْتَقَلَّتْ عَشِيَةٌ فما هي إلا لمحة وتغيب

وهناك فارق آخر بين نون المثني و نون جمع المذكر السالم، هو العلامة الإعرابية التي تسبقها ، ففي المثني المرفوع تسبقها الألف ، كعلامة إعرابية ، وفي جمع المذكر السالم المرفوع تسبقها الواو ، ولا لبس في ذلك .

(١) التطور اللغوي ص ٤١ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٦٩/١ .

أما في حالتي النصب والجر في كل منهما ، نجد أن النون في المثني تسبق بياء ساكنة ، كعلامة إعرابية ، وفي جمع المذكر السالم تسبق النون بحركة كسر طويلة " ياء مد " ؛ فكأن صوت النون في الصيغتين جاء في النهاية ليحفظ العلامة الإعرابية ويبرزها .

رابعا : الأفعال الخمسة :

ويقوم صوت النون بدور صرفي آخر ، فهو يكوّن مع حركة الفتح الطويلة " ألف المد " وحدة صرفية، تدل تثنية الفعل المضارع للمخاطبين ، وللغائبين ، ومع حركة الضم الطويلة " واو مد " يكوّن وحدة صرفية تدل على جمع المذكر للفعل المضارع، للمخاطبين، وللغائبين، ومع الياء " حركة الكسر الطويلة " يكوّن وحدة صرفية ، تدل على المخاطبة المؤنثة ، وهذا ما يطلق عليه مصطلح " الأفعال الخمسة " ، نحو :

يكتبان - يكتبون - تكتبون - تكتبين .

- /ايَ / : وحدة صرفية ، حرف يدل على المضارعة للغائبين .
- /كتب / : وحدة معجمية ، فعل بمعنى بَوَّأَ ن أو نسخ .
- /ان / : وحدة صرفية تدل تثنية الفعل المضارع ، في حالة الرفع .
- /اتَ / : وحدة صرفية ، حرف يدل على المضارعة للمخاطبين .
- /كتب / : وحدة معجمية ، بمعنى بَوَّأَ ون أو نسخ .
- /اونَ / : وحدة صرفية ، تدل على جمع الفعل في حالة المذكر .
- /اتَ / : وحدة صرفية ، حرف يدل على المضارعة ، للمخاطبة المؤنثة .
- /كتب / : وحدة معجمية ، بمعنى بَوَّأَ ون أو نسخ .
- /ينَ / : وحدة صرفية ، تدل على المخاطبة المؤنثة .
- ويلاحظ في هذه الحالة أن النون تقوم بوظيفة بنائية ، ووظيفة نحوية ؛ فهي تقوم بوظيفة العلامة الإعرابية أيضا ، فهذه الأفعال ترفع بثبوت النون ، وتنصب وتجزم بحذفها ؛ وذلك للتمييز بين إعراب الأفعال المثناة والمجموعة ، والأسماء المثناة والمجموعة (١).

(١) انظر النحو الواضح لعلى الجارم ٨٣/١ : ٩٠ و ٧٦ : ٧١

خامسا : نون النسوة :

يقوم صوت النون في هذه الحالة بدور الوحدة الصرفية (الضمير المتصل) ، الذي يدل على جمع الإناث ، نحو :

مددَنَ إليه يد العون

/مدد / : وحدة معجمية ، فعل ماض بمعنى : ساعد - عاون .

/نَ / : وحدة صرفية ، ضمير يدل على جمع الإناث .

/إلى / : وحدة صرفية ، تقوم بوظيفة نحوية ، هي الجر للأسماء .

/هـ / : وحدة صرفية ، ضمير متصل يدل على الغائب .

/ يد / : وحدة معجمية ، واليد عضو من أعضاء الجسم .

/ ال / : وحدة صرفية ، تدل على التعريف في الأسماء .

/ عون / : وحدة معجمية ، بمعنى : المساعدة .

وهذه النون تقوم بتغيير الحالة الإعرابية للفعل المضارع من الرفع إلى البناء على الفتح ، وتغيير حالة البناء في الفعل الماضي من البناء على الفتح إلى البناء على السكون ، وتبقي بناء الأمر على السكون دون تغيير .

سادسا : نا الفاعلين :

يكون صوت النون وحركة الفتح الطويلة " ألف المد " وحدة صرفية أخرى ، هي الضمير المتصل الدال على الفاعلين " نا " ، نحو :

وفدنا إلى الجامعة اليوم

/ وفد / : وحدة معجمية ، فعل ماض ، بمعنى : جاء - حضر .

/ لنا / : وحدة صرفية ، ضمير متصل ، يدل على الفاعلين .

(١) النحو الواضح ٢ / ٢٠ : ٢٣

/ إلى / : وحدة صرفية ، تؤدي وظيفة نحوية ، الجر في الأسماء .

/ ال / : وحدة صرفية ، تؤدي وظيفة نحوية ، التعريف في الأسماء .

/ جامعة / : وحدة معجمية ، بمعنى : مكان اجتماع طلاب العلم للتحصيل والدراسة .

/ ال / : وحدة صرفية ، تؤدي وظيفة نحوية ، التعريف في الأسماء .

/ يوم / : وحدة معجمية ، بمعنى : الوقت من شروق الشمس إلى غيابها .

ويبنى الفعل الماضي المتصل بهذا الضمير على السكون أيضا .

سابعا : نون التوكيد الخفيفة والثقيلة :

ويقوم صوت النون بوظيفة صرفية أخرى، ذات أهمية كبيرة ، فهو يكوّن وحدة صرفية تلتحق
آخر الأفعال ؛ للدلالة على تأكيد الفعل ، وهذه النون تأتي على شكلين ، أحدهما يتكون من نون
ساكنة ، ونون متحركة بالفتح (نون التوكيد الثقيلة) ، والآخر يتكون من نون ساكنة فقط (نون التوكيد الخفيفة) ، نحو :

أطيعنَّ والديك

/ أطيع / : وحدة معجمية ، فعل أمر ، بمعنى : نفذ ما تؤمر به ، واجتنب ما تنهى عنه ، وهذا
الفعل مركب فعلي ، يتكون من الفعل والفاعل المستتر أو المتضمن فيه وجوبا، تقديره (أنت) .

نَّ / : وحدة صرفية ، تلتحق آخر الأفعال ، وتفيد التوكيد للفعل .

/ والد / : وحدة وعجمية ، بمعنى : الأب والأم .

/ اي / : وحدة صرفية ، تفيد التثنية ، وقد حذفت النون منها ؛ للإضافة .

/ كَ / : وحدة صرفية ، ضمير متصل ، للمخاطب .

وهنا أيضا يعمل الوقع الصوتي القوي للغة أثره ؛ فلكي تؤكد كلامك تحتاج إلى شيء ذي رنين
عالٍ وواضح ، وهذا ما يتوفر بصورة واضحة في غنة النون . وتقوم هذه النون بتحويل
الإعراب في الفعل المضارع إلى البناء على السكون ، ويبني فعل الأمر معها على الفتح ، بدلا
من السكون (١) .

(١) النحو الواضح ٢ / ٢٠ : ٢٣

ثامنا : نون الوقاية :

وهناك وحدة صرفية أخرى يمثلها صوت النون ، هي نون الوقاية ، التي قيل في سبب
تسميتها بهذا الاسم، إنه لوقاية الفعل من الكسر أو الجر، الذي يحدثه الضمير المتصل ،
الدال على المتكلم (ي) ؛ فضمير المتكلم هو عبارة عن ياء مد (حركة كسر طويلة) ،
تتصل بآخر الفعل ، وبما أن الجر سمة من سمات الأسماء ، فلا يجوز مع الأفعال في
اللغة ، كان لابد من اجتلاب حرف يقي الفعل من الجر ، فكان صوت النون هو الواقي
أو الدرع الذي يحمي الفعل ، ويأخذ عنه الجر ، ولا يصح اتصال الفعل بياء المتكلم
بدون هذه النون ، التي قد تحذف من الحروف عند اتصالها بياء المتكلم ، نحو :

إِنِّي التي يقال فيها أيضا إِنِّي ، مثل : إِنِّي أو إِنِّي لتطربني خلال الكريمة
/ إنَّ / : وحدة صرفية ، تؤدي وظيفة نحوية ، نسخ حكم الجملة الاسمية ؛ فتنصب
المبتدأ ، وترفع الخبر .

”

ووقعت النون بهذا الدور للتفرقة بين علامة إعراب المثني في حالتي الرفع والنصب ،
وصيغة الفعل المسند لألف الإثنين ، وعلامة إعراب جمع المذكر السالم في حالتي الرفع
والنصب ، وصيغة الفعل المسند لواو الجماعة .
[٢٤] البقرة

ويكون حذف النون علامة البناء في فعل الأمر المتصل بألف الإثنين ، واو الجماعة ، ياء
المخاطبة ، نحو قوله تعالى :

”

ويقوم صوت النون بدور نحوي آخر ، فهو يحوّل حالة إعراب الفعل المضارع من الرفع إلى
البناء على الفتح ، مع نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة ، نحو قوله تعالى :

”

وإلى البناء على السكون مع نون النسوة ، نحو قوله تعالى :

”

وكذلك في فعل الأمر الذي يتحوّل بناؤه من البناء على السكون إلى البناء على الفتح ، عند
اتصاله بنون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة ، نحو :

اصبرنَّ على الشدائد ، فإنها تصنع الرجال .

ومع الفعل الماضي يتحول بناؤه من الفتح إلى البناء على السكون ، نحو قول الشاعر :

وإذا النساء نَشَأْنَ في أميَّة رضع الرجال جهالة وخمولا

ويقوم صوت النون بدور نحوي آخر ؛ فهو يدل الإضافة في الكلمة المثناة أو المجموعة جمع
المذكر السالم ، إذا حذف منها ، فهذا الصوت القوي يقف حاجزا منيعا في آخر الكلمة ، يمنع
إضافتها إلى غيرها ؛ لذلك يجب أن يحذف من آخر الكلمة ؛ كي تصح الإضافة .

الفصل الرابع : الأدوار الدلالية لصوت النون :

يقوم صوت النوع بعدة أدوار دلالية في اللغة العربية ، هي :

١- دلالاته على التانيث في ضمير جمع الإناث " نون النسوة " ، وقد قيل في معنى الجذر (نسو) : " ومنه النسوة بالكسر والضم ، والنساء ، حيث يحملن في باطنهن الأجنة ،

/ ان / : وحدة صرفية تفيد البناء للمجهول أو للمفعول ، وأصلها النون الساكنة ، ولكن الفعل في هذه الحالة سيجتمع في أوله عنقود صوتي ، بمعنى :

ساكن + ساكن + حركة

وهذا الوضع غير مقبول في اللغة العربية ؛ فتجتلب ألف الوصل وصانتهما الكسرة للنطق بالفعل .

/ كسر / وحدة معجمية ، فعل ماضٍ بمعنى تفرَّق الشيء إلى أجزاء كثيرة .

/ ت / : وحدة صرفية تفيد التانيث في الفعل الماضي .

/ ال / : وحدة صرفية تفيد التعريف في الأسماء .

/ زجاج / : وحدة معجمية ، اسم بمعنى : إناء بشكل معين يُصنع من الزجاج .

/ لة / : وحدة صرفية ، تفيد التانيث في الأسماء .

٤- دلالة النون " نون التنوين " على الاستقبال في صيغة اسم الفاعل :

تستخدم نون التنوين في آخر صيغة اسم الفاعل في اللغة العربية للدلالة على زمن المستقبل ، نحو قوله تعالى في سورة الكهف :

"

﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

ومما يُثبت هذه الدلالة أيضا قصة الكسائي مع القاضي الذي كان يُقلد من شأن علماء النحو واللغة ، فأراد الكسائي أن يلقيه درسا ، فسأله إذا جاءك رجلان ، قال أحدهما : إني قاتلُ غلامك ، وقال الآخر إنِّي قاتلُ غلامك ، فأبي منهما تُعاقب ، فرد القاضي كلاهما ؛ فكلاهما في نظره قد اعترفا بجرمهما ، فقال الكسائي له إنه أخطأ في حق أحدهما، وأصاب في حق الآخر، فالأول هو القاتل ، والثاني بالتنوين لم يقدّم بفعل القتل بعد ؛ لدلالة التنوين في آخر صيغة اسم الفاعل على المستقبل ، وهنا أدرك القاضي أهمية علم النحو واللغة ، ودورهما في صحة أو خطأ الأحكام التي يطلقها (١).

(١) المدارس النحوية شوقي ضيف ص ١٧٢ : ١٧٥ وانظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ١٢٠ - ١٢١

الخاتمة

وفي الختام يلاحظ من العرض السابق لأدوار صوت النون في اللغة العربية ، أهمية هذا الصوت ، وهيمنته فيها ، وكثرة وروده .

وقد ثبت تاريخيا في لغة اليهود الذين كانوا يسكنون في الجانب الشرقي ، متاخمين للقبائل الشرقية ، وجود ملمح الغنة في نطقهم لبعض الأصوات ، وهو ما يطلق عليه في علم الأصوات (المشاركة في النطق أو التلغظ) Coarticulation ، وهذا ما فسر به بعض العلماء ما حدث في ظاهرة (الاستنطاء) ، تلك الظاهرة اللغوية التي يستبدل فيها صوت العين بالنون في الفعل (أعطى) ؛ فينطق (أنطى) ، فقد قالوا إن العين القديمة في لغة اليهود كانت تنطق بشئ من الغنة ، بمعنى أن يشترك المخرج الأنفي في نطق صوت العين ، بعد هبوط اللهاة ، وبمرور الوقت اختفى صوت العين من النطق ، وظلت الغنة التي تطورت إلى النون (١) ، وقد أوضح ذلك كثرة دوران صوت النون في اللغات السامية (٢) الذي فسّر سببه العلماء بأن صوت النون من أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وظهورا .

وقد كان لموقع هذا الصوت النطقي المتوسط والمزدوج ، ولطريقة نطقه التي تجمع بين صفات الصوامت ، وبعض ملامح الصوائت أثره في تفاعله الواضح مع كثير من أصوات اللغة ، وثناء الحركة الصوتية له .

وقد كان لقوة الغنة في هذا الصوت التي أكسبته سمّا خاصا به أثره في دخوله في كثير من الأبنية الصرفية المهمة في اللغة،وقيامه بوظيفة العلامة الإعرابية مثل الحركات، وجعله يستخدم في إكساب الكلمات معانٍ مهمة ومؤثرة .

(١) المدخل في علم الأصوات المقارن ص ٢٦٠

(٢) اللهجات العربية في التراث دكتور أحمد علم الدين الجندي / ١ - ٣٨٧ - ٣٨٨

- ١- ابن الجزري - غاية النهاية في طبقات القراء - عني بنشره ج برجستراسر - مكتبة المتنبى - القاهرة .
- ٢- ابن عقيل - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة العشرون - مكتبة دار التراث - القاهرة .
- ٣- ابن هشام - متن شذور الذهب - الطبعة الأخيرة - مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده .
- ٤- أحمد علم الدين الجندي - اللهجات العربية في التراث " القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي " - طبعة جديدة - الدار العربية للكتاب .
- ٥- الداني - التيسير في القراءات السبع - عني بتصحيحه أوتو يرتزل - طبعة جديدة - اعتمد في أصلها الطبعة التي نشرتها جمعية المستشرقين الألمانية - بمطبعة استمبول عام ١٩٣٠م - ط ١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٦- الرازي - مفاتيح الغيب - دار إحياء التراث العربي - د.ت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٠ م .
- ٧- أبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين لعبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٨- تمام حسان - مناهج البحث في اللغة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- ٩- ربيع عمار - كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر - بسكرة - العدد الحادي عشر .
- ١٠- رمضان عبد التواب - التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه - الطبعة الثانية - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ١١- سيبويه - الكتاب - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - ط ١ - دار الجيل - بيروت - لبنان .
- ١٢- شوقي ضيف - المدارس النحوية - الطبعة الثانية - دار المعارف المصرية .
- ١٣- صبري المتولى - دراسات في علم الأصوات - طبعة جديدة منقحة ومزودة - مكتبة زهراء الشرق - القاهرة .
- ١٤- صلاح حسنين - المدخل في علم الأصوات المقارن دراسة مقارنة - ط ١ - ١٩٨١م - مكتبة كلية الدراسات العربية والإسلامية .
- * دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن - ط ٢ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م - توزيع مكتبة الآداب .
- ١٥- علي الجارم - النحو الواضح - دار المعارف .
- ١٦- كمال بشر - علم الأصوات - ط ١ - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة .
- ١٧- محمد حسن جبل - التلقي والأداء في القراءات القرآنية - الطبعة الأولى - مكتبة الآداب .
- * المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - الطبعة الأولى - مكتبة الآداب .